وانما هو انكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال
التي يقع عليها كفرهم **قلت** حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان
انكار حال الكفر لانها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر
وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند
وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا
للحال **فان قلت** كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد **قلت**
لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم
هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد هذا
الموت ثم يحاسبكم **فان قلت** بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح
ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا **قلت** هو العلم بالقصة كانه
قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها وباخرها **فان قلت** فقد آل المعنى الى قولك على اي حال
تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته **قلت** قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف للانكار وان
انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه **فان
قلت** ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع **قلت** قد تمكنوا
من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع
ميت كالاقوال في جمع قيل **فان قلت** كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة
من البنى **قلت** بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان
يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس **فان قلت** ما المراد بالاحياء الثاني **قلت** يجوز ان يراد
به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء **فان قلت** لم كان العطف
الاول بالفاء والاعقاب بثم **قلت** لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء
والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه
يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور **فان قلت** من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة
التي ذكرها الا انها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر الى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر **قلت** تحتمل
الامرين جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم
اما الانتفاع الدنياوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر
الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب
والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران
والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها
ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة ومطلقة لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها **فان
قلت** هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة **قلت** ان اراد بالارض الجهات السفلية
دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا
نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد

اليها

اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل
ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى
السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه
من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في
الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم **فان قلت** ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم
لاعطائه معنى التراخي والمهلة **قلت** ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض
لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى
انه حين قصد الى السماء ثم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر **فان قلت** اما يناقض
هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها **قلت** لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن
خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار
اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتانيث
الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه
مصيرون في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته
فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء **قلت** اريد بالخليفة ادم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي
القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان
يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض **فان قلت** لاي غرض
اخبرهم بذلك **قلت** ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم
عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على
ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير **فان قلت** من اين عرفوا ذلك حتى
تعجبوا منه وانما هو غيب **قلت** عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم
هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض
فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن
للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في
الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك
لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي
عليكم **فان قلت** فهلا بين لهم تلك المصالح **قلت** كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة
وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسماء كلها واشتقاقهم ادم
من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا
اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كازر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء
المسميات كلها فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه
اللام كقوله واشتعل الراس **فان قلت** هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل

Copyright King Saud University